قصة الملك آرثر وفرسانه

هاورد بيل

The Story of King Arthur and His Knights

Howard Pyle

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان الكرارجي، تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٣٨٦ ٧

المحتويات

كتاب الملك آرثر

مقدمة

في قديم الزمان، عاش ملك اسمه يوثر بيندراجون، وكان يحكم بريطانيا بأكملها. وفي هزيمته لأعدائه، اعتمد يوثر بيندراجون بشدة على رجلين من رجال بلاطه؛ أحدهما هو ميرلين الحكيم، الذي كان ساحرًا يستطيع أن يرى المستقبل، والآخر هو سير أولفيوس، الفارس النبيل الذي قاد الجيش في الكثير من الحروب العظيمة.

وكان لزوجة الملك يوثر بيندراجون، الجميلة إيجراين، ابنتان من زوج آخر. كانت إحداهما، التي تُدعى مورجانا لي فاي، ساحرة ذائعة الصيت. وسرعان ما أنجبت إيجراين مولودًا ذكرًا. وعندما جاء ميرلين ليرى الصبي، وقف فوق مهده وأغمض عينيه وقال للملك يوثر بيندراجون: «مولاي، يؤسفني أن أخبرك بأنني أرى أمورًا سيئة في المستقبل: ستعتريك الحمى عما قريب وتموت. وستسقط مملكتك في غياهب فوضى عارمة، وستكون حياة طفلك في خطر شديد بسبب الأعداء الذين سيحاولون سلبه حقوقه الشرعية. أتوسل إليك، اترك الصبي لي أنا وأولفيوس لنأخذه بعيدًا، ولسوف نخبئه في مكان آمن إلى أن يكبر!»

كان يوثر بيندراجون يثق ثقة كبيرة في نصائح ميرلين وفي الهبات التي ظن أن ابنه سوف يقدمها إلى العالم يومًا ما. ومن ثم ترك ميرلين وأولفيوس يأخذان الطفل ويخفيانه. ولم يمر زمن طويل حتى مرض يوثر بيندراجون بالفعل ومات. وكما تنبأ ميرلين تمامًا، سقطت المملكة في فوضى عارمة، ورغب كثيرون من الملوك الأقل شأنًا في الاستيلاء على عرشها. وتربص كثيرون من الفرسان والبارونات الآخرين على جوانب الطرق العامة بالضعاف من المسافرين للهجوم والسطو عليهم. مرّت ثمانية عشر عامًا تقريبًا على هذا المنوال. وأنَّت الأرض بما عليها من اضطرابات عنيفة.

وأخيرًا، استدعى رئيس أساقفة مدينة كانتربيري ميرلين ليمثل أمامه، وتوسل إليه قائلًا: «ميرلين، سمعت أنك أذكى رجل في العالم. حتمًا أنت تستطيع أن تستخدم مواهبك في العثور على ملك جديد، حتى ننعم بحياة سعيدة كما كنا أيام يوثر بيندراجون، أليس كذلك؟»

أغمض ميرلين عينيه السحريتين مرة أخرى، ثم نطق بعد برهة: «سيدي، يسعدني أن أخبرك بأنني أرى أمورًا عظيمة في المستقبل. عن قريب سيكون هناك ملك جديد لهذا البلد، وسيكون أحكم من صديقنا القديم يوثر بيندراجون وأعظم منه، وسيرسي النظام والسلام، فلن يكون هناك مكان للفوضى والحرب. والأروع من كل هذا، أن هذا الملك الجديد سيكون من دم ولحم يوثر بيندراجون.»

غمرت السعادة رئيس الأساقفة، غير أنه تحير وسأل ميرلين: «ميرلين، متى سيأتي هذا الملك الجديد؟ وكيف سنعرفه عندما يصل؟ كيف سنميزه من بين كل أولئك الذين قد يفعلون كل ما في وسعهم كي يحكموا مكانه؟»

لمعت عين ميرلين وسأله: «أتثق بي؟» أومأ رئيس الأساقفة برأسه إيجابًا، فأردف ميرلين: «إذن سأرتب حدثًا ضخمًا، وبانتهاء هذا الحدث سيعرف البلاط ملكه الشرعي.»

لوح ميرلين بيديه، وعندئذ ظهر أمامه حجر ضخم من الرخام، وعندما لوح بيديه مرة أخرى ظهر سندان من الحديد الصلب فوق كتلة الرخام، وعندئذ أدخل ميرلين سيفًا أزرق كبيرًا في السندان. كان السيف لامعًا وبراقًا، ويده الذهبية منقوشة بعناية وموشاة بالكثير من الأحجار الكريمة. وكان مكتوبًا على نصل السيف بأحرف ذهبية: «الذي يستطيع أن ينزع هذا السيف من السندان يكون هو الملك الشرعي لبريطانيا.»

وبناء على طلب من ميرلين، أعلن رئيس الأساقفة عن مسابقة في يوم عيد الميلاد يمكن أن يشترك فيها كل الناس من كل حدب وصوب. كل من يرغب يمكنه أن يحاول نزع السيف من السندان. والذي يستطيع أن يفعل هذا سيكون ملك بريطانيا الجديد. ملأ الحماس أرجاء المدينة، وظن كثيرون أن الملك لوت هو من سيعتلي العرش، فيما ظن آخرون أن الملك يورين ملك جور هو من سيملك بريطانيا. ورأى البعض أن الملك ليوديجرانس ملك كاميليارد هو من سينتزع السيف، فيما ظن البعض أن هذا سيكون هو الملك رينس ملك شمال ويلز.

وعندما حلّ عيد الميلاد، بدا وكأن العالم بأسره يشق طريقه نحو لندن من أجل المباراة، إذ عجت الطرق العامة والحانات والقلاع بالمسافرين، وجاء الملوك واللوردات

والفرسان والسيدات وحملة الدروع والخدم والجنود لمشاهدة تلك اللحظة التي ستسجل في التاريخ.

وعندما رأى رئيس الأساقفة الجمع الغفير، اعترف بالحماس الذي تملكه وقال: «ميرلين، سأتعجب أيما تعجب إذا لم نعثر على شخص واحد جدير بالعرش وسط كل أولئك الملوك واللوردات النبلاء ذائعي الصيت!»

فما كان من ميرلين إلا أن ابتسم وقال: «سيدي، قد تتعجب تعجبًا شديدًا؛ فالشخص الوحيد الجدير بالعرش «بحق» ربما لا يزال مجهولًا تمامًا.»

فكر رئيس الأساقفة في كلمات ميرلين، وهكذا بدأت هذه القصة السحرية.

الجزء الأول

الفوز بالملك

الفصل الأول

كان الفارس النبيل سير إيكتور من بونمايسون وسط النبلاء العظام الكثيرين الذين وفدوا إلى لندن من أجل المسابقة، وقد أحضر السير إيكتور معه ولديه؛ الابن الأكبر سير كاي، الذي أبدى بالفعل شجاعة ومؤشرات نجاح عظيمة، والأخ الأصغر آرثر الذي كان لا يزال غلامًا في الثامنة عشرة من العمر فحسب، والذي كان يعمل الآن حامل الدرع لأخيه، أي بمنزلة مساعد فارس.

أحضر سير إيكتور وولداه مجموعة أمتعة رائعة، فقد أحضروا خيمًا جميلة من الحرير الأخضر مزخرفة بشعار النبالة الخاص بالعائلة. وعندما وصلوا الميدان الذي سيجتمع فيه المتبارون، لم يكونوا وحدهم؛ فقد كان هناك ملوك ودوقات مع حاشيتهم، وما لا يقل عن عشرين ألف لورد وسيدة. وكان يوجد عدد هائل من الأعلام والرايات حتى إنها حجبت السماء تمامًا.

ولما رأى رئيس أساقفة مدينة كانتربيري المشهد ابتسم، إذ سيكون هذا حدثًا عظيمًا. لن يتبارى الرجال من أجل نزع السيف في يوم عيد الميلاد فحسب، بل ستُعقد أيضًا مسابقة مفتوحة خلال الأيام الثلاثة التي تسبق يوم نزع السيف. وقد دعا رئيس الأساقفة إلى هذه المسابقة جميع الفرسان ذوي الحسب بالدرجة الكافية والذين يتمتعون بصحة جيدة وكفاءة عالية للتباري.

وبالطبع وُجد السير كاي كفؤًا ومن ثم اشترك في المسابقة. وكان آرثر الصغير شديد الفخر بأخيه، وقد سعد بأن يحمل علم كاي ويسير أمامه إلى ميدان المعركة.

وعندما جاء يوم المسابقة، جلس الجمهور على مقربة شديدة بعضهم من بعض، حتى إن الميدان بدا مسورًا بجدار مصمت من الأجساد البشرية. وعند إعطاء رئيس الأساقفة إشارة البدء، تقدم نافخ الأبواق ونفخ في البوق بقوة، ففُتحت الأبواب عند الأطراف المتقابلة

لساحة القتال، ودخلت الفرقتان الأوليان من الفرسان. ملئوا ساحة القتال بدروعهم البراقة وأدوات القتال الأخرى. ولمّا نفخ مرة ثانية، وثب الفرسان بعضهم نحو بعض شاهرين رماحهم.

بدت الأرض كلها تئن تحت الأقدام المجهدة لجياد الحرب التي يمتطيها الفرسان، والصليل الناجم عن تصادم الرماح وانكسارها. وعندما انتهت المعركة الأولى وغادر الفرسان، كانت قطع المعادن المكسورة تغطي الساحة. وبدا

وكأن الجمع — الذي أدرك أفراده أنهم كانوا يكتمون أنفاسهم — يزفرون معًا وكأنهم شخص واحد. ونُظفت الساحة استعدادًا للجولة الثانية.

أبلى سير كاي بلاء حسنًا في الجولة الأولى، وتصدى في لحظة من اللحظات لهجمات خصمين في وقت واحد. ومن أجل هذا، كان واثقًا من أنه مستعد للجولة الثانية التي ستتضمن سيوفًا بدلًا من الرماح. ونُفخ في البوق مرة أخرى، وخرج الفرسان. وعلى الفور تقريبًا أثبت سير كاي جدارته مرة أخرى. لقد درأ هجمات خمسة خصوم هذه المرة.

على أنه ربما زادت ثقة سير كاي في نفسه هنا في هذه المباريات؛ فعندما أقبل فارس ضخم قوي، اسمه بالامورجنيز، ليبارزه، ضحك سير كاي الفتيّ وقبِل المبارزة في الحال. ولمّا أقسم كاي أن يهزم بالامورجنيز كما فعل بالآخرين، ضرب رأس خصمه بسيفه، فارتطمت الضربة بخوذة بالامورجنيز وارتج مخه بقوة، لكن لسوء الحظ، بينما كان يُفيق من الدوار الذي أصابه، اكتشف كاي أن نصل سيفه انكسر نصفين. لقد صار أعزل الآن.

صرخ كاي: «آرثر، هيا أسرع إلى خيمة أبينا وأحضر لي سيفًا آخر!» ركض آرثر بأقصى سرعة لديه، لكن عندما بلغها لم يجد هناك أحدًا ولم يجد سلاحًا. وفجأة تذكر أنه رأى سيفًا موضوعًا في سندان، على مقربة منه. وقد ظن يقينًا أن هذا السيف سيفي باحتياج أخيه تمامًا.

وعندما وصل آرثر الكنيسة حيث يوجد سيف ميرلين والسندان، لم يكن الحراس هناك، إذ كانوا هم أيضًا يشاهدون المباراة. لذا لم يكن هناك من يردعه حينما قفز إلى كتلة الرخام وانحنى وانتزع السيف بكل سهولة ثم دثره في عباءته وركض ليعطيه لأخيه.

وعندما رأى سير كاي السيف، الذي عرفه لتوه بالطبع، ذُهل حتى إنه تسمر في مكانه كالصنم، كأنما حوله أحدهم إلى حجر بفعل قوة سحرية. وأخيرًا تمتم: «من أين جئت بهذا السيف؟» شرح آرثر — الذي كان في غاية البراءة — الأمر لأخيه، وعليه قرر

سير كاي — الذي لم يكن شديد البراءة على الإطلاق — أن يدعي أنه هو من انتزع السيف من السندان بنفسه. قال كاي لآرثر: «لا تخبر أحدًا البتة بهذا.» ومرة أخرى وافق آرثر بكل براءة.

غير أن سير كاي أراد أن يخبر أحدهم لذا قال لآرثر: «اذهب وأحضر والدنا.» وركض آرثر وطلب من سير إيكتور أن يأتي في عجالة، إذ لم يسبق له أن رأى كاي في هذه الحالة قط. قال آرثر: «قطعًا حدث شيء مهم.»

وعندما وصل سير إيكتور رأى أن آرثر كان على حق؛ إذ كان وجه ابنه الأكبر شاحبًا كخشب الدردار، وعيناه تبرقان بشدة. قال سير كاي: «أبي، لا بد أن أريك شيئًا رائعًا.» أخذ سير كاي والده من يده وذهب به إلى طاولة وضع عليها سيف آرثر الذي دثره في عباءة أيضًا. ونزع سير كاي العباءة ليُري أباه السيف البراق.

عرف سير إيكتور السيف على الفور فسأل ابنه: «كيف حصلت على هذا؟»

ماطل سير كاي في إجابته قائلًا: «لقد كُسر سيفي الأصلي، ثم حصلت على هذا بدلًا منه.»

قال إيكتور في عجب: «بُني، إذا كنت قد انتزعت هذا السيف من السندان، فأنت إذن ملك بريطانيا الشرعي. لكن إن كنت أنت حقًّا من انتزعه، ينبغي أن تكون قادرًا على إعادته إلى مكانه بنفس السهولة؛ إذ يجب أن تنتزعه مرة أخرى أمام شهود.»

ارتبك سير كاي وتساءل: «من عساه يستطيع زجَّ سيف في كتلة صلبة من الحديد؟» هذا أمر معجز! لكن إذا كان أخوه الذي لم يكن مميزًا على الإطلاق استطاع أن يسحبه، فإذن قطعًا سيستطيع هو — الذي يرى نفسه مميزًا إلى أبعد الحدود — أن يزج بالسيف في السندان ثم ينتزعه مرة أخرى أيضًا.

الفصل الثاني

حينما عادوا إلى السندان، الذي ما زال بلا حراس، أخرج سير كاي السيف من العباءة، ثم وضع طرفه على السندان الحديدي وأخذ يدفعه بكل ما أوتي من قوة، لكن دون جدوى. بعد مرور بضع دقائق، وبعد أن احمر وجهه حمرة شديدة من المجهود الذي بذله، استسلم، واعترف لأبيه قائلًا: «أبي، لا يستطيع أي رجل أن يصنع هذه المعجزة.»

سأل آرثر: «هل يمكن أن أحاول؟»

رد إيكتور متسائلًا: «وبأي حق تحاول؟»

أجاب آرثر: «بحق أنني أنا من انتزع هذا السيف في المقام الأول من أجل أخي.» لم يكن آرثر يقول هذا متفاخرًا، وإنما إقرارًا بالحقيقة فحسب. وكان آرثر لا يزال صبيًّا بريئًا، لا يفهم المباراة ولا معناها، بل ولا يعلم لمَ ينظر إليه والده بغرابة الآن، فسأله: «هل أنت غاضب مني؟»

أخبر سير إيكتور ولده الصغير أنه ليس غاضبًا منه، وطلب من ابنه الكبير أن يسلمه السيف. وشاهد الأب والابن الكبير آرثر وهو يقفز على حجر الرخام ويدخل السيف بمنتهى السهولة في السندان، ثم ينتزعه ويدخله مرة أخرى، مؤديًا المعجزة مرتين.

لهث سير إيكتور ثم انحنى، وضم يديه معًا كما لو كان يتضرع إلى الله.

صرخ آرثر وهو يرمي السيف ويركض نحو والده: «أبي!»

قال سير إيكتور: «أنا لست والدك.» تجهم وجه آرثر، وتجهم وجه كاي كذلك، لكن هذا الأخير تجهم لفكرة أن أخاه وليس هو قد يصبح الملك بالفعل.

تنحنح سير إيكتور وبدأ يسرد قصته. بدأت القصة منذ ثمانية عشر عامًا عندما أحضر له ميرلين العراف وأولفيوس الفارس رضيعًا، ولم يخبراه أي طفل هذا، وإنما كل ما أخبراه به هو أنه لا بد أن يسمي هذا الطفل آرثر ويربيه كأنه ابنه. وهذا ما فعله.

قال سير إيكتور إنه لم يحاول قط أن يخمن من عساه يكون والد آرثر. لكن اليوم يتضح الأمر وضوح الشمس، فقطعًا لا يستطيع أن يجري مثل هذه المعجزة إلا ابن يوثر بيندراجون. كان آرثر هو الملك الحقيقي.

سأل سير إيكتور آرثر: «لمَ تبكي يا بُني؟»

أجاب آرثر: «أبكي لأنني أشعر وكأنما قد فقدتك، ولأنني أؤثر أن تكون أنت والدي على أن أصير ملكًا.»

في تلك اللحظة ظهر رجلان بطريقة أشبه بالسحر: ميرلين العراف، وأولفيوس الفارس، بأنفسهما.

قال ميرلين موضحًا: «رأيت كل ما حدث اليوم على سطح كأسي السحري. ولطالما انتظرت هذه اللحظة طيلة ثمانية عشر عامًا.»

ثم أمسك ميرلين بيد آرثر وأخبره بما تخبئه له الأيام: «ستكون أعظم وأشهر ملك عاش في الوجود، وسيجتمع حولك الكثير من الفرسان الأكفاء. وسيتحدث العالم عن أعمالك ومغامراتك إلى انقضاء الدهر.»

سأل سير إيكتور آرثر الذي لم يعد ابنه فجأة: «هل تقطع لي وعدًا؟»

أجاب آرثر: «بالطبع.»

قال إيكتور: «عندما تُتوج ملكًا على بريطانيا، هل تقلد أخاك كاي في أحد المناصب في مملكتك؟»

قال آرثر: «بالطبع، ولكن بشرط أن تظل والدي إلى الأبد.»

ختم آرثر تبادل الوعود هذا بقبلة على جبين والده وعلى وجنتيه. وبالفعل سيحفظ الرجلان وعودهما.

وهكذا اكتشف آرثر للمرة الأولى أنه ملك، وإليكم كيف اكتشف العالم هذا أيضًا.

بحلول صباح يوم عيد الميلاد، يوم المسابقة، وفد ألوف الناس لمشاهدة مباراة السيف، وبُنيت منصة تحت كتلة الرخام، ونُصب عرش فاخر من أجل رئيس الأساقفة.

تنص القواعد على أنه لا يتقدم للمنافسة في الجولة الأولى على الأقل إلا أولئك الذين لهم حق طبيعي في ذلك. من ثم تقدم في الحال تسعة عشر ملكًا وستة عشر دوقًا. وكان من بين من تقدموا الملوك بيلينوري، ولوت، ويورين، وليوديجرانس، ورينس. حاول كل منهم نزع السيف، بل إن بعضهم حاول أكثر من مرة، لكن جميعهم أخفقوا، ما جعلهم

يشعرون بالاستياء والحرج. واندهش الجمع أيضًا؛ فإن لم يستطع أولئك العظماء أن ينجزوا المهمة، فمن عساه يستطيع؟

قال الملوك والدوقات لرئيس الأساقفة: «لقد خدعك ميرلين! هذه المهمة مستحيلة. لقد دبر ميرلين هذه الخدعة ليجعل منا جميعًا أضحوكة! لا بد أن تختار بحكمتك واحدًا منا ليصير ملكًا. وما إن تختاره، سنعد بأننا نتبعه.»

كاد رئيس الأساقفة يوافق، غير أنه لم يصدق أن ميرلين قد يتسبب في مثل هذه الاضطرابات، لذا قال: «سنصبر فترة وجيزة فحسب. فترة تعادل العد إلى رقم خمسمائة مرتين، فإذا لم يستطع أي شخص أن ينتزع السيف حتى ذلك الحين، فسأفعل ما طلبتم.»

بدأ الملوك والدوقات يعدون بصوت عالٍ وبسرعة: «واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، نشكرك! خمسة، ستة ...»

واستمر العد: «أربعمائة وثمانون، أربعمائة وواحد وثمانون، أربعمائة واثنان وثمانون.» وأخيرًا نادى كل من ميرلين وأولفيوس: «آرثر»؛ فلمّا كانا مستمتعين بالتشويق، انتظرا حتى اللحظة الأخيرة.

تعجب الجمع بصوت مرتفع فيما وصل سير إيكتور، وسير كاي، وآرثر قبل اللحظة الأخيرة مباشرة: «من أولئك الرجال السائرون مع ميرلين وأولفيوس؟» وتقدم ميرلين بصحبة آرثر إلى منصة رئيس الأساقفة وقال: «سيدي، لقد أحضرت لك المتباري التالي في مسابقة السيف.»

سأله رئيس الأساقفة: «بأي حق أحضرته؟»

أجاب ميرلين: «بحق كونه الابن الحقيقي للملك يوثر بيندراجون.»

لهث الجمع من فرط الإثارة والانبهار. لقد أخذ ميرلين الفتى وهو صغير رضيع حتى قبل أن يدرك أحد أن ابن الملك يوثر بيندراجون قد وُلِدَ. سرد ميرلين في صبر قصته وكان أولفيوس وسير إيكتور يؤكدان ما يقوله. وسمح رئيس الأساقفة لآرثر بأن يحاول.

وكما فعل آرثر من قبل، وضع يديه على السيف وانحنى وانتزعه، وشاهد كل الجمع انسلال قطعة المعدن بسلاسة من السندان. ولأن هذه المرة كانت أكثر إثارة من سابقتها، شهر آرثر السيف فوق رأسه ولوح به في الهواء ثلاث مرات في احتفال مبهج، فأومض السيف وكأنه البرق.

ثار الجمع بشدة وأخذوا يصرخون بصوت مرتفع جدًّا، حتى بدا كأنما العالم كله يهتز. وعلى صرخاتهم أعاد آرثر إدخال السيف في السندان ثم انتزعه مرتين أخريين، فكان إجمالي عدد المرات التي أجرى فيها المعجزة ثلاث مرات.